# ( ١ )

# الأصولية البروتستانتية فى الولايات المتحدة الأمريكية

## الجذور التاريخية

القارئ لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية منذ تأسيسها ، يمكنه أن يلحظ إلى أى حد مثل الدين أساسًا أقيم عليه العالم الجديد ( أمريكا ). لقد حمل المهاجرون الجدد، أو ما اصطلح على تسميتهم « البيوريتانيين - Puritans » سنة ١٦٢٠ معهم العقيدة البروتستانتية ( الكالفينية بالأساس ) ، التى كانوا يحاولون ، بلا طائل ، تطبيقها فى إنجلترا. ولكنهم طوردوا واضطهدوا ، فراح يحدوهم الأمل بإمكان العيش وفقًا لمبادئ الإصلاح الكالفينى على الأرض الجديدة. وعلى الرغم من أن الكالفينية كان لها رؤيتها الخاصة للعالم وللحياة وللإنسان وخلاصه ، إلا أن هذه الرؤية لم تكن منبتة ( منقطعة ) الصلة عن الواقع الاجتماعى الذى وجدت فيه. لقد كانت لهذه الرؤية جذورها الاجتماعية والمعرفية بحكم نشأتها فى سياق مجتمعى خاص وفى لحظة تاريخية محددة ، ألا وهو السياق الأوروبى بتفاعلاته التاريخية المحتدمة آنذاك؛ لذا فإن الانتقال بهذه الرؤية إلى العالم الجديد كان يتطلب قدرًا من المواءمة.

وإذا كان علماء الاجتماع ( الاجتماع الدينى بصفة خاصة ) يقولون بأن العقائد الدينية والكنائس تعكس المجتمعات التى تهيمن عليها بقدر ما تعكسها هذه المجتمعات بدورها أيضًا ، وقد يتفق البعض أو يختلف مع هذه المقولة ، ولكن الحالة الأمريكية تمثل تعبيرًا مثاليًا لما يقول به هؤلاء العلماء. وعليه نجد الكالفينية وقد تطورت لتتناسب مع الوضع - العالم الجديد ، فالمؤكد أن الأرض الجديدة ليست إنجلترا ولكنها أمريكا ، حتى وإن أسموها إنجلترا الجديدة ، كما أن العالم الجديد - أمريكا - فرض نفسه على العقيدة المهاجرة ، فتطورت من نفسها لتستجيب إلى حاجة العالم الجديد

لمرجعية تحكم حركته الناشئة. **لذا لم يكن غريبًا وبحسب چان پيارفيشو أن « يولد المجتمع والدين فى آن واحد » ، ولأن المهاجرين الجدد كانوا من الـپروتستانت فقد كانوا قوة غالبة ، فسادت كنيستهم وساد مذهبهم.**

لقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن المهاجرين الجدد : الـپروتستانت ، كانوا متأثرين باليهودية تأثرًا مركبًا : لاهوتيًا ، وتاريخيًا ، وكتابيًا ، وسياسيًا ، حيث أفرز هذا التأثير صيغة « تعايش » بين الـپروتستانتية واليهودية بقيت إلى الآن ، وبالذات فى الاتجاهات والتيارات الأصولية. **ويعود هذا التأثر لرؤية المستوطنين الجدد ـ الـپروتستانت للعالم الجديد باعتباره « القدس الجديدة » ، حيث شعروا أن تجربتهم الناشئة تجعلهم متماثلين مع المنفيين والعبرانيين الذين ذكروا فى التوراة. فأصبحت أمريكا لديهم « كنعان الجديدة » ، فهم فروا مثل العبرانيين القدامى من عبودية « فرعون » ( الملك چيمس الأول ملك إنجلترا ) من « أرض مصر » ( إنجلترا ) بحثًا عن ملاذ فى الأرض الجديدة الموعودة من الاضطهاد الدينى.**

وكان لهذا الشعور أثره على أرض الواقع ؛ تمثل فى الكيفية التى تعايش بها المستوطنون الجدد مع المكان ، من حيث إطلاق أسماء عبرانية على الأماكن التى يغدون إليها ، وإطلاق أسماء عبرانية على المواليد الجدد ـ **يضاف إلى ما سبق فرض تعلم اللغة العبرية فى المدارس والجامعات ، ويشار هنا إلى أن أول دكتوراه منحتها جامعة هارڤارد فى العام ١٦٤٢ كانت حول موضوع « العبرية هى اللغة الأم » وكان أول كتاب يصدر فى أمريكا « سفر المزامير » ، وأول مجلة تصدر حملت عنوان « اليهودى ». لقد باتت أمريكا بالنسبة للمستوطنين الجدد « النموذج الروحى للعهد القديم العبرى » ، بل نجدهم يسمون أنفسهم « أطفال إسرائيل ـ Children of Israel ».**

وتأكد هذا التعاطف أكثر وأكثر ، بين الـپروتستانتية واليهودية ، عندما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تشهد موجات من الهجرات الكثيفة من اليهود والكاثوليك، فلوحظ كيف كانت العلاقة أكثر حميمية بين الـپروتستانت واليهود ، وعلى النقيض تمامًا كانت العلاقة بين الـپروتستانت والكاثوليك. لقد وجدت أرضية مشتركة بين البروتستانتية واليهودية لم تتحقق بين الـپروتستانتية والكاثوليكية. وسرعان ما كان

لـهذه العلاقـة الحميمـة تجلياتها العملية ؛ **فمـع بدايـة القـرن الـثامن عشـر ، احتـلت فلسطين « كوطن للـيهود » ، مكانـة خاصـة لـدى الـبروتستانت ، الأمـر الـذى ولـد اعتقادًا راسـخًا فى اللاهوت الـبروتستانتى الأمريكى بضرورة البعث اليهودى . إن هذه العلاقـة ، أدت إلى أن تتضمن الثقافة الـبروتستانتية فى وجهها الأصولى كثيرًا من تعـاليم اليهودية الروحية والعقائدية ثم الصهيونية اليهودية لاحقـًا ؛ حيث أصبح « هـنـاك ميـل بروتستانتى قوى للاعتقاد بأن معنى المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية »**. لقد مال الـبروتستانت إلى هذا التوجه بل يمكن القول بأنهم اعتنقوه ، وسـعوا إلى ضـرورة العمـل مـن أجـل الإحيـاء القـومى للشـعب اليهـودى ، والتقوا عمليًّا مـع الحركـة الصـهيـونية فـى مبادئـها . وهـذا هـو مؤسس الكنيسـة المورمونيـة القس جـوزيف سميث ، يتبنى نظرية البعث اليهودى فى فلسطين ، وتلحق بـه كوكـبة مـن ألمـع اللاهوتييـن الإنجيـليين مـثـل سـايروس سـكوفيلد والقـس وليـم بلاكستون، حيث عملوا على إنشاء مستوطنات لليهود مثلما فعل وردر جريسون الذى قام « بإنشاء مستوطنة زراعية يهودية لتدريب المهاجرين اليهود على شئون الزراعة والإنـتاج الـزراعى ». ثـم يرصـد المؤرخـون الـتحول المهـم مـن مجـرد الـتعاطف الوجـدانى والتـبرير اللاهـوتى إلى الضـغط السياسـى لـتحقيق هـذا الــهدف الـروحى - السياسـى ، ألا وهو إقامة وطن يهودى ، **فنجد القس بلاكستون يقوم بتأسيس منظمة تدعى « البعثة العبرية من أجل إسرائيل - Hebrew Mission on Behalf of Israel » لـم تـزل مسـتمرة فى مهمـتها حـتى اليـوم باسـم جديـد هـو « الـزمالة اليسوعية الأمريكية -American Messianic Fellowship » والتى تعد قلب جهاز الضـغط Lobby الصـهيونى فى الولايات المـتحدة الأمريكية . ويرصد هنا أن أول عمـل يمكـن أن ينـدرج تحـت أعمـال الضـغط هـو مـا قـام بـه بلاكسـتون مـن جمـع توقيعات تـأييد لإقامـة وطن صهيونى فى فلسطين ، ورفـع عريضة بذلك إلى الرئيس الأمريكى آنـذاك(*) . ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى وافق الكونجرس الأمريكى بمجلسيه**

---

(*) وقد قام ويليام بلاكستون (١٨٤١ - ١٩٣٥) - المبشر الإيفانجيلى ، والـذى يعتبر واحدًا مـن أبـرز المسـيحيين الصـهيونيين الأمـريكيين - بـزيارة لفلسطين حاجًا إلى الأرض المقدسـة بـرفقة ابنـته عـام ١٨٨٨ ، وتمخضـت زيارتـه عن الشعار الذى استغلته الصـهيونية اليهودية بعد ذلك استغلالا بـالغ الفعالية فيما تعلق بالضمير الغربى . فكما قال إنه أفزعه وابنته « الشذوذ المتمثل فى أن فلسطين هذه تركت هكذا أرضا بغير شعب بدلا من أن تعطى لشعب بغير أرض ».

<=

**على وعد بلفور.** وتوالى الدعم السياسى الرسمى وأيضًا الشعبى بتكوين العديد من المنظمات والكيانات التى صارت بمثابة جماعات ضغط مؤثرة ذات طبيعة « أخطبوطية » فى أنحاء أمريكا.

**وهكذا اتحد الدينى بالسياسى واللاهوتى بالتاريخى فخلق علاقة مميزة ، بين الپروتستانتية واليهودية بشكل عام ، وبين الأصولية الپروتستانتية والصهيونية اليهودية بشكل خاص ، بل زاد الأمر أن تأسس ما سمى بالصهيونية المسيحية. لقد آمنت الصهيونية المسيحية قبل تأسيس دولة إسرائيل بعودة اليهود كشعب إلى أرضه الموعودة فى فلسطين ، وإقامة كيانه الوطنى فيها ، تمهيدًا للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه مملكة الألف عام. وبعد قيام إسرائيل ، أخذت الصهيونية المسيحية تنظر إلى إسرائيل كحدث وإشارة تؤكد معتقداتها.**

على الجانب الآخر شعر الپروتستانت بالمزاحمة من قبل الكاثوليكية الوافدة الجديدة إلى أمريكا من حيث مشاركتها لما حققته الپروتستانتية من امتيازات وسلطات دينية فى مواجهة الدولة ، **الأمر الذى دفع الپروتستانت بالمطالبة بتطبيق المبدأ النظرى بفصل الدين عن الدولة.** وقد تم لهم ذلك حين تقرر إدخال مبدأ الفصل فى صلب الدستور الأمريكى ، والذى عُدَّ التعديل الدستورى الأول عام ١٧٨٩ ونص على ما يلى :

---

وفى سنة ١٨٩١ ، تقدم بلاكستون بـ « عريضة » إلى الرئيس الأمريكى بنيامين هاريسون مطالبًا بتدخل أمريكا لإعادة اليهود إلى فلسطين. وجمع على العريضة توقيعات ٤١٣ من كبار الأمريكيين المسيحيين البارزين ، كان من بينهم عميد أسرة روكلفر آنئذ ، چون روكفلر ، وكبير قضاة المحكمة العليا ، ورئيس مجلس النواب ، وعدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ ، ورؤساء تحرير عدد من الصحف الكبرى.

وجاء فى عريضة بلاكستون :

**«.. طبقًا لتوزيع الرب أرضه على الأمم ، تظل فلسطين ( وطن اليهود ) ، وتظل ملكًا لهم غير قابل للتصرف ، طردوا منه بالقوة الغاشمة. وعندما كانوا يفلحونها كانت فلسطين أرضًا مثمرة أقامت أود ملايين عديدة من بنى إسرائيل الذين عملوا بكد فى وديانها وعلى سفوح تلالها فلقد كانوا أمة زراعية منتجة بقدر ما ظلوا أمة ذات باع تجارى عظيم ، وكانوا مركز الحضارة والدين. فلم لا تضطلع الدول الكبرى التى أعطت بلغاريا للبلغار وصربيا للصرب بإعادة فلسطين لليهود ..؟».**

«لن يصدر الكونجرس أى قانون بصدد ترسيخ الدين أو منع ممارسته » وأكد على ما سبق فى معرض تفسيره لهذا النص ، الرئيس جيفرسون عام ١٨٠٢ ، عندما أرسل رسالة إلى جماعة من رجال الدين فى إحدى كنائس ولاية كونيتكت ، أعلن فيها أن :

**« هدف التعديل الأول فى الدستور هو إنشاء حائط فاصل ما بين الكنيسة والدولة »**. وهذا يعنى أنه يحظر على الكونجرس سن قوانين تؤسس دينًا أو تمنع حرية التعبير الحر الدينى أو تجبر أحدًا على اتباع دين معين بأى وسيلة ، أو أن تساعد الدولة على ذلك ماديًا أو معنويًا. وبقدر ما حال الدستور دون قيام الدولة بدعم أى دين ، فقد ألحق بهذه الفقرة الدستورية فقرة أخرى تنص على الحق فى حرية التعبير الدينى لكل الأديان.

بيد أن النص الدستورى لم يمنع أن يجعل تطبيقه أو عدم تطبيقه أمرًا خاضعًا لموازين القوى فى المجتمع. فالپروتستانت منذ أن وفدوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقعوا « وثيقة دستورية أولية - May Flower Compact » ، تنشئ ثيوقراطية تضع البلد الجديد فى « رعاية الله » ، رابطة ربطًا وثيقًا بين المجالات الاجتماعية والدينية ، لقد جاءوا ليعيشوا إيمانهم ؛ لذا فإن تراجعهم عن ذلك لاحقًا ، إنما هو تراجع تكتيكى أملته الظروف. فالحياة فى ظل تعددية مذهبية فرضت عليهم ذلك مؤقتًا حتى تتغير الأوضاع وهنا يصبح النص الدستورى خاضعًا فى تفسيره للواقع وللأطراف الفاعلة فيه ومدى قوتها لحظة التفسير .

**والثابت تاريخيًا وفى أوقات كثيرة ، أن النصوص الدستورية لم تمنع من ضغط التحالفات الدينية فى اتجاه ما يخص قضايا بعينها تمس حياة الناس اليومية ، بل امتد هذا الضغط ليشمل قضايا خاصة بالسياسة الخارجية الأمريكية كما سنرى لاحقًا.**

* * *